
12me Année No. 559

Lundi - 20 - 3 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

م

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٥٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٠ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

١٦ - ٢٢

بين التخطئة والتصويب

للأستاذ عباس محمود العقاد

نبهني فاضل من علماء الأدب والتاريخ عندنا إلى كلمة « الأموية » نسبة إلى الأم في كتاب « الصديقة بنت الصديق » وقال لي إن النسبة إلى أم « أمي » على حسب القياس ، فهل عدلت عنها لعلة ؟

وكان تنبيهه هذا تنبيه العالم الذي لا يقطع بالقول قبل أن يسمع مختلف الأقوال ، فكان منبهاً ومصححاً ومستفهماً في انتظار البيان والجواب في وقت واحد

والواقع أن « الأمي » نسبة إلى « الأم ».هي القياس الشائع الذي لا خلاف فيه ، ولكن الأموي ليست بخطأ ولا هي بخلاف يأتي به مجرد الإغراب وفضول القول ، لأن الحاجة ماسة إلى التفرقة بين معنى الأمي الذي شاع على الألسنة والأقلام للدلالة على الجاهل بالقراءة والكتابة ، ومعنى الأمي الذي يدل على عواطف الأمومة والنسبة إلى أحد الأبوين

ولا خطأ في ذلك من جانب اللغة والقواعد النحوية ، لأن « الأم » أصلها أمه وأمهة ، وليس هذا الأصل مأخوذاً من تقديرات النحاة والصرفيين التي لا دليل عليها من التواتر المنقول ، ولكنه مأخوذ من اللغة المستعملة في الخطاب والشعر

من كلام المذكورين قبيل الإسلام ، ومن ذلك قول قصى ابن كلاب بن مرة جد النبي عليه السلام :

إني لدى الحرب رخى اللبب معتزم الصولة عالى النسب
أمهتى خندف والياس أبي

فإذا قلبت الهاء واواً كما تقلب فى سنه وسنوى وشفه وشفوى وعضه وعضوى ، فليس فى ذلك خلاف للمأثور ولا للمنصوص عليه ، وفيه تيسير للتفرقة بين المعنى المقصود بالأمى والمعنى المقصود بالأموى على الاعتبار الذى قدمناه

يذكرنى مجال التخطئة والتصويب في اللغة بقول بعض الحكماء : (إن قليلاً من البحث يؤدى إلى الإلحاد ، ولكن الكثير من البحث يرد الملحد إلى الله)

فهذا الكلام بعينه يمكن أن يقال عن التخطئة فى اللغة والأخلاق والتفكير وعن كل تخطئة تحتمل الوجوه المتعددة من الآراء ، لأن التخطئة سهلة ولكن الدلالة على مراجع الصواب هى التى تشق على الأكثرين ، وكذلك يسهل إيجاد الذنب على من شاء ولا يسهل إيجاد العذر إلا على من خبر الدنيا وسبر الأخلاق وعرف طاقة النفوس وأغوار الطبائع والأخلاق

هذه حقيقة لا يحتاج العالم إلى التذكير بها لأنه يذكرها أبداً ولا يزال شعاره بين شبهات الخطأ والصواب : « وفوق كل ذى علم عليم »

ولكن الذين يحتاجون إلى التذكير بها هم أولئك الأدعياء الذين يقحمون أنفسهم فيما ليس لهم ، ويخوضون عباب التخطئة والتصويب وليس عندهم من الزاد إلا محصول الفهارس والعناوين وجزازات اللامين والجامعين

ومن هؤلاء دعى المقتطف الذى يجترىء على التخطئة فى لغة العرب ، وهو يقرأ ما أمامه بهذه اللغة فلا يفهمه ولا يخلص منه إلى ظاهر معناه ، فضلاً عن باطنه الذى تتجه فيه الأذهان كل اتجاه

فهذا الدعى ينكر أن نقول : « آداب العرب النسائية » لأنه قرأ أن سيبويه نبه على أن النسبة إلى نساء نسوى . . . ويفوته أن سيبويه يتحدث بمذهب البصريين وحده ، كما يفوته أن يرجع إلى بنية اللفظ وإلى قواعد اللغة ، فإن حكم نساء هو حكم نسوة ونسوان بغير اختلاف ، أياً كان القول فى نساء سواء أصح أنها للكثرة أم صح أنها جمع نسوة إذا كثرن ، وكلاهما لا يغير الحكم النحوى أقل تغيير

فمن الخطأ « أولاً » أن يقال أن نساء لا تستعمل إلا للكثرة لأن القرآن الكريم يقول : « يا نساء النبى » وهن تسع ولا نزاع في أن القرآن مرجع لغوى يؤخذ به قبل كل كتاب

وقد جاء فى شعر الربيع بن زياد :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه بالصبح قبل تبلج الأسحار

فالنساء بمعنى النسوة فى الكثرة أو القلة ، تحل إحدى الكلمتين محل الأخرى وتعطى حكمها بلا اختلاف

على إننا نفرض بعد هذا أن النساء لا تقال إلا للكثرة وهو فرض بعيد ، فما دخل الكثرة فى الحكم النحوى بالغاً ما بلغ الفرق بين عدد النساء القليلات أو النساء الكثيرات

بل نحن نذهب فى الفرض وراء ذلك فنقول أن نسوة جمع امرأة من غير نوع الكلمة ، وأن نساء هى جمع نسوة ، فلماذا تمتنع النسبة إلى الجمع وهى جائزة فى مثل هذا المعنى

ألا يقال الأنصارى والأعرابى إذا أنزل الجمع منزلة القبيلة الواحدة ؟ ألا يقال النسائى إذا أنزل الجمع هنا منزلة الجنس الواحد ، ولم يكن المقصود به نسوة محدودات ؟

إنما أتى صاحبنا هنا من علم الفهارس الذى يتخطف أوائل الكلام ولا يتعداه إلى مواضع التوسع والإفاضة

وإذا كان الفهرس قد دله على تنبيه سيبويه ولم يدله على شيء آخر فالذنب على الفهرس المسكين لا عليه

كذلك قلنا فى كتاب « الصديقة بنت الصديق » أن الاختلاف يتراوح بين السنة الرابعة والسنة السادسة ، فرجع صاحبنا إلى الجزازات فوجد أن « الإمام اليازجى » يقول إن التراوح غير هذا ويتابعه على قوله بعض الباحثين الفضلاء

لكن المراوحة بين العملين فى جميع معجمات اللغة هى « أن يعمل الرجل هذا مرة وهذا مرة » ، أو يقول هذا مرة وهذا مرة ، والمراوحة بين الرجلين هى أن يقوم على كل مرة ، وبين الجنبين هى أن يتقلب من جنب إلى جنب

فإذا قلنا على هذا أن الاختلاف يتراوح بين السنة الرابعة وبين السنة السادسة فذلك صحيح ما دام الاختلاف هنا هو

الفاعل الذى يقول مرة بسنة من السنين ومرة بسنة أخرى ، فهو يتراوح بين القولين تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك

ويكون صاحبنا إذن قد عرف الجزازات والفهارس ولم يفهم معنى اليازجى ولا معانى الفرقين بين المراوحة والترجيح ، لأن الترجيح انتقال دائم ، أما المراوحة فهى ثبوت فى حالة من الحالات ثم ثبوت فى حالة أخرى ، وهذا هو المقصود بما ذكرناه

ولكن هذا الكلام إنما يفهم بدماغ ، ومن أين للفهارس والجزازات دماغ ؟

***

وأعجب من هذه التخطئة وما شابهها فى اللغة تخطئة فى الجمع والطرح يحسبها ذلك الدعى من علم الجامعات ، وهى لا تعدو علوم المدارس الإلزامية وكتاتيب القرى ، إذا كان قصاراها أن « ١٤+٢=١٦ » كما أراد أن يقول بعد مجهود فى الإحصاء والتعديد

فنحن حين عرضنا لسن السيدة عائشة رضى الله عنها عند بناء النبى بها لم نقل إننا حصرنا سنها بشهادة الميلاد ، ولا كان يعنينا أن نحصرها بتلك الشهادة أو بغيرها

وإنما عنانا أن نبطل قول القادحين فى النبى أنه عليه السلام بنى ببنت صغيرة لا تصلح للزواج ، وقد أبطلنا ذلك بالأدلة التى لا نكررها هنا لأننا فى غنى عن هذا التكرير

فإذا جاز مثلاً أن تكون سنها ست عشرة سنة فى أيام غزوة بنى المصطلق ولم يكن ذلك قولاً قاطعاً لا تردد فيه فسبب ذلك أن غزوة بنى المصطلق يتراوح القول فيها بين السنة الرابعة والسنة السادسة ، ولا ضرورة لتكرير الشك فى عدد السنين كلما عرضت لنا مناسبة لاختلاف التواريخ

إنما هـذا هو علم الفهارس والجزازات الذى لا يعنينا ولا نلتفت إليه ، ونحن لم يفتنا تحقيقه لأن جمع « ٢ + ١٤ » عسير علينا أو على جامع أو طارح فى أصغر المدارس الإلزامية ، ولكننا تركناه للتقدير والترجيح إذ كان القطع فيه غير مستطاع ، وإذ كان تكرير الاحتمالات كل مرة عبثاً لا يدعونا إليه داع

ويحسبنا أن نعلم أن عائشة خطبت قبل خطبتها للنبى ، وأن الذى خطبت له كان من المشركين — يحسبنا أن نعلم هذا لنعلم أنها خطبت قبل الدعوة الإسلامية وأن أبا بكر لن يزوج بنته بعد الدعوة الإسلامية لرجل يكفر بدينه ، وهو البرهان الراجح على أنها حين خطبت لمحمد عليه السلام وبنى بها بعد الخطبة بسنوات قد كانت فى سن صالحة للزواج

تلك هى الحقيقة التاريخية التى تحتاج إلى بحث وتنقيب وموازنة للوقائع والتواريخ . أما (١٤ + ٢ = ١٦) فهى كما أسلفنا من حقائق الكتاتيب الإلزامية لا من حقائق السوربون ولا من حقائق المدارس التى تجاوزت أوائل دروس الهجاء والحساب

***

على أن التخطئة فى المنطق أصعب من التخطئة فى اللغة والحساب ، ولهذا كان فهم هذا الدعى وأمثاله لطريقتنا فى الاستدلال فهماً يشوبه العى والغباء ، كما يشوبه سوء الذوق وسوء التعبير

فنحن لم نقل إن الخطأ بعيد عن السيدة عائشة لأنها مؤمنة بالله ونبيه ، فهذا دليل رخيص لا نتنزل إليه ولا ندين أحداً به ولو كان من المسلمين . وما قال أحد أن المؤمن معصوم من الخطأ وقد طال البحث بين أناس فى عصمة الأنبياء

كلا . نحن لا نعتمد يوماً من الأيام على دليل يقبله المسلم ويرفضه غير المسلم ، ولا على دليل يأخذه من يشاء ويرفضه من يشاء ، ولو أجزنا ذلك لأنفسنا لأثبتنا آيات القرآن الكريم فى تبرئة السيدة عائشة ووقفنا عندها مكتفين بها أو متوسعين فى شرحها ، ولكننا كما يعلم قراء كتابنا قد أشرنا إلى تلك الآيات حين أشارت إليها السيدة عائشة ولم نزد على الإشارة بقليل ولا كثير

إنما دليلنا على براءة السيدة عائشة أنها إن كانت قد أخطأت — وبرأها القرآن — استحال عليها أن تؤمن بالكتاب وأن تصدق بأنه وحى من عند الله ، وأيسر شىء عليها إذن أن تخترع الأحاديث على النبى عند مسيس الحاجة إلى الاختراع ، وأى حاجة إلى الاختراع أمس من لجاج الخصومة بينها وبين على أو بينها وبين عثمان ، بل أى حاجة إلى الاختراع أمس من تشفيها

فلسطين . . . !

للأستـــاذ عمر الدسوقي

جهاد مجيد

لبيك يا فلسطين لبيك !

إن ما سطرته فى سفر الجهاد والبطولة ، وما ضربته من المُثُل الرائعة الجليلة ، منذ حلت بك المحنة ، ووفد عليك البلاء كان شآبيب الرحمة والغفران على أجداث آبائك الصِّيد الذين شادوا الدولة العربية قديماً ؛ وسيظل رمزاً نبيلاً لأبناء العروبة يثير حميتهم إذا ونت ، ويشحذ عزائمهم إذا فترت . فقد أبيت الضيم فى شمم وكبرياء ، ونهضت تذودين عن الحق المهضوم بقلب باسل ذَمِر يعاف الجنف والاستخذاء ، وكلما ظن الدخيل أنها جذوة نار عما قريب تخمد زادتها حرارة إيمانك ضراماً فبذلت النفوس بذل السماح ، فمن مات كان للوطن ضحية وقرباناً ، ومن عاش كان للشرف نموذجاً وعنواناً . لقد هزم صبرك المال وسطوته ، وقهر إيمانك الجيش وعدته . وقفتِ وحدك رَدَحاً من الزمن تذودين عن الحمى ، وتصونين العروبة ، حتى عرف أبناء التاميز صدق جهادك وفقهوا كنه قضيتك ، فأصدروا كتابهم الأبيض ، وبه إقرار لبعض حقك على أن يكون لبنيك الغلبة فى ديارهم ، حكومة وعدداً ، وأن تقف الهجرة الصهيونية فى عامنا هذا

ثم انفجر مِسْعَر الحرب ولف أوارها العالم فى رِبْقته ، وأبينا إلا أن نقف مع خصومنا بالأمس موقفاً يمثل نفسيتنا العربية الكريمة فبسطنا لهم أكف الصداقة فى إخلاص لا تشوبه مداجاة أو رياء ؛ لعلمنا أنهم يدافعون عن الحريات المسلوبة ، ويقفون فى وجه الجبروت والبغى ، وعنجهية المنتصر ، والسيطرة الفردية ؛ بل وبذلنا فى سبيل نصرتهم كل ما قدرنا عليه ، لم ندخر وسعاً ، ونألُ جهداً ، ولم نكن يوماً على ذلك بآسفين .

دعوى اليهود

وإن تعجب فعجب لقوم يريدون أن يغتصبوا دياراً يعمرها

لطلحة أو الزبير ورغبتها فى تقديم المسلمين إياها وهى قادرة على تعزيز ذلك بكلام تعزوه إلى زوجها العظيم ويصدقه الأصدقاء والخصوم !

فإيمانها بالقرآن وبالأحاديث النبوية وتقديسها لحرمة تلك الأحاديث هو الدليل القاطع على براءتها من التهمة التى افتريت عليها . إذ هى لو كانت قد أخطأت وبرأها القرآن لكان إيمانها بالقرآن والأحاديث من المستحيلات ، واستحالة الإيمان هنا حقيقة مقررة يقبلها عقل المسلم ، ويقبلها عقل المسيحى ، ويقبلها عقل الملحد الذى لا يدين بدين

ومن ثم يخطئ الأستاذ المسلم ـ الشيخ محمد يوسف موسى ـ إذ يقول : « إن استدلال أن صدقه من يرى لأم المؤمنين النزاهة والجلالة من أجل دينه فحسب فقد لا يصدق به من لم يكن كذلك »

لأن التصديق هنا قضية عقلية لا انفكاك منها . . . هل يقوم الدليل القاطع عند عائشة على أن القرآن برأها من ذنب جاءت به ثم تظل على إيمانها بالقرآن ؟

الجواب هنا من المسلمين وغير المسلمين : كلا . بل هو مستحيل ، وهذا هو الذى قصدنا إليه

وعلى ذكر الأستاذ المسلم ـ الشيخ محمد يوسف موسى ـ نرى من الواجب أن نعقب على كلامه ببعض التعليق المفيد

فهو يقول فى كلمته « إنى لم أتشرف بعد بصداقة الأستاذين ، ولكنى أعرف لكل منها حقه من التقدير »

فإن فهم أحد من هذه الكلمة أن الشيخ محمد يوسف لا يعرفنا ولا علاقة له بنا فذلك فهم يحتاج إلى تصحيح

وتصحيحه أن الشيخ قد عرفنا ولقينا وأهدى إلينا كتاباً فى تاريخ الأخلاق وسألنا أن نكتب عنه وعاد إلى هذا الرجاء بوساطة من أصدقائنا ، فاعتذرنا إليه آسفين لأن وقت القراءة عندنا محدود فى هذه الأيام

ولا شك أن هذا التصحيح تعقيب مفيد على ما قال أو على ما يفهمه من كلامه بعض القارئين . **عباس محمود العقاد**

أهلها منذ أربعة عشر قرناً بدعوى أنهم كانوا يقيمون بها قبل أن تضرب عليهم الذلة والمسكنة ويشردوا فى الآفاق ؛ مع أن دولتهم بها لم تزد عن قرنين !

وما ذنب العرب فى أن اليهود لا يجدون لهم وطناً يأوون إليه ؟ ولماذا تحل قضيتهم على حساب العرب وهم آمنون وادعون فى ديارهم التى نزحوا إليها فى الجاهلية ، وفتحها أسلافهم بحد السيف وطردوا منها الرومان فى الإسلام ؟

إن الذنب فى الواقع ذنب اليهود فهم لم يندمجوا يوماً ما فى الشعوب التى نزحوا إلى ديارها ، ولم يشاركوهم فى السراء والضراء ، بل ظلوا بمنأى عن ميادين الجهاد والتضحية ، وجل همهم ادخار الثروات والنفوذ ؛ وهـذا ما بغضهم إلى كثير من الأمم فاضطهدوا فى حقب التاريخ المتتابعة . ولو أخلصوا الأوطانهم التى أقاموا بها واتخذوا اليهودية شعاراً دينياً لحسب ما أساء إليهم أحد

سألت كثيراً من اليهود بانجلترا : هل يفضلون الهجرة لفلسطين على أن يسلبوا الجنسية الإنجليزية أو يؤثرون حالتهم الراهنة ؟ فكان جوابهم جميعاً : إنهم لا يرضون بغير انجلترا بديلاً . فإذا سألتهم : لماذا إذاً تعاضدون فكرة الوطن القومى ؟ أجابوا : « حتى إذا أسيء لنا هنا وجدنا بلداً نأوى إليه » . فإذا جادلتهم : إما أن تكونوا إنجليز وإما أن تكونوا يهوداً ؛ لأن الإنجليزى إذا أسيء إليه فى بلده لا ينفصل من جنسيته ولا يرحل عنها ، أرتج عليهم ولم يجدوا جواباً

إن دعوى اليهود فى فلسطين لا يبررها التاريخ ، ولا يؤيدها الواقع ولا يناصرها العدل ؛ وأولى لهم – إذا كانوا حقاً ينفرون من الاضطهاد أن يكونوا مواطنين أوفياء للشعوب التى آثروا الإقامة بينها ، يبذلون من أموالهم وأنفسهم وذكائهم وتجاربهم فى سبيل رفاهيتها وسعادتها ، ولا يبتغون من وراء ذلك مادة أو جاها شأن الوطنيين المضحين المخلصين ، وحينذاك لا يجدون من يجرؤ على قذفهم بالخيانة والجشع ، أو من يحاول التحريض عليهم وإرهابهم

وإن لم يكن فى قدرتهم التغلب على طبيعتهم التى زادتها القرون تمكناً والضرب فى الآفاق إرهاقاً ، فالأجدر بهم أن يبحثوا عن بقعة أخرى من الأرض تضم شتاتهم ، وهم نيف وستة عشر مليوناً فى أرجاء المعمورة المتباينة . ولعل هؤلاء الذين يعطفون عليهم ويؤيدون طلبتهم فى إنشاء وطن قومي ، وفى طليعتهم « المرشال سمطس » ، وبعض شيوخ الولايات المتحدة يكونون صادقين فى حدبهم عليهم ورفقهم بهم فيقطعونهم منفسحاً من الأرض فى الدنيا الجديدة أو جنوب أفريقيا ، ويتركون فلسطين الصغيرة الوادعة الغاصة بأهلها الذين لا يريدون التخلى عنها أو يفنوا عن آخرهم

على أن فلسطين لن تحل المشكلة اليهودية فهي أضيق من أن تتسع لهم جميعاً مهما بالغوا فى مقدرة المدن الصناعية على استيعاب السكان . وأين يذهب العرب ؟ ولم يتركون أوطانهم وبيوتهم لغيرهم ؟ ولم يصيرون أقلية مستضعفة فى ظل دولة يهودية غريبة معتدية لهـا الأكثرية والحكم بعد أن كانوا هم أهل البلاد وأصحاب ثروتها منذ الفتح الإسلامى ؟

ثم إن هذه الدولة الصناعية ليست خطراً على فلسطين فحسب ولكنها ستكون نكبة على الشرق العربى كله ؛ لما لليهود فى العالم من رءوس أموال ضخمة وخبرة فنية وصناعية واسعة ستجعل من الشرق العربى سوقاً لسلعهم ، وتميت فيه الصناعات الناشئة ، ولن يكون أهله إلا أجراء أو مستهلكين ، والثمرة والمال لليهود المستغلين

ومن حجج اليهود الواهية المتداعية التى يخدعون بها بعض الساسة فى أوربا ادعاؤهم إنعاش فلسطين اقتصادياً منـذ ابتدءوا ينزحون إليها ، وأن أجور العمال من العرب قد ارتفعت ، ومستوى الحياة قد ارتقى ، وكثيراً من الأرض اليباب القحلة قد

أصلح ، وكانت فلسطين قبلهم معدمة تنعى بالمستنقعات ويعانى أهلها الجهل والفقر والغبن

على أن هذه الحجة غير صحيحة ؛ فلم يفد العرب شيئاً من أموال اليهود ونشاطهم وهم دوماً يؤثرون العمال من بنى جنسهم ويحملون مدنهم ومستعمراتهم ، ولا يتبادلون السلع مع العرب بل لا يشترون شيئاً منهم ، واستولوا على كثير من الوديان الخصبة المزروعة ، ولو كان ادعاؤهم هذا صحيحاً فالعرب يرفضون مدنيتهم ورفاهيتهم وأموالهم وصناعاتهم على أن تبقى لهم حريتهم الغالية ، ورحم الله عنترة حين قال :

لا تسقنى ماء الحيـاة بذلة بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أكرم منزل

إن صلة اليهود بفلسطين صـلة دينية فقط ، وأما طمعهم فى جعلها وطناً قومياً يضم دولة يهودية فيجب ألا يفكروا فيهـا ، لأن فلسطين جزء من الوطن العربى الكبير ، ووجود دولة غريبة بجنسها ودينها ومشخصات قوميتها وسط هـذا الوطن خطر كبير عليه ، ومدعاة للشغب والاضطراب والفتن الدائمة ؛ ولن يرضى العرب بذلك أبداً .

ثم إن فلسطين عزيزة على العرب من مسلمين ومسيحيين ، ولهم فيها ذكريات غاليات ، وحرمات مقدسة ، بل إن المسلمين جميعاً فى كل صقع من الأرض يقدسونها ويعظمونها ، ولن تطيب لهم نفس أو يهدأ لهم بال إن غلب عليها اليهود

الوعى العربى

نحمدك اللهم على أن أفقنا أخيراً من سباتنا العميق ، وأخذنا نتآلف ونتآزر ، ونتشارك فى السراء والضراء بعد أن فرقتنا أيدى المطامع بدداً ، وبعد أن بحت أصوات المخلصين للوحدة العربية .

إننا نيف وخمسون مليوناً من الأنفس فى بقاع متصلة من خير الأرض وأمرعها وأغناها وأحسنها موقعاً ، تربطنا أواصر محكمة من اللغة والتاريخ والعادات والدم والدين والآمال والآلام ؛ وإذا لم تكن هذه الأواصر كفيلة بتكوين أمة متحدة متماسكة اقتصادياً وعلمياً وحربياً وسياسياً ، فلست أدرى أى شىء يكوّن هذه الأمة !!

كانت قضية لبنان اختباراً لمبلغ الوعى القوى عند الشعوب العربية ، والخروج من ميدان الكلام والإعداد إلى ميدان العمل والجهاد ، بيد أن قضية لبنان لم تكن من التعقيد مثل قضية فلسطين . وهنا ، سيتجلّى إخلاصنا للقضية العربية ، ومبلغ صدقنا فى الجهاد وثباتنا أمام الصعاب ، وقدرتنا على تذليلها وتمهيدها . فإن وقفنا أمة واحدة تنطق بلسان واحد وكلمة واحدة لا تتغير ، ولا تفتر لنا عزيمة ، أو تلين لنا قناة فسننتصر ونخرج ظافرين من الاختبار بحول الله . وهى خطوة لها ما بعدها ، إن نجحت كانت حجر الزاوية فى بناء الصرح العربى المرموق

ولا يسعنا إلا أن نسجل بالحمد والشكر والفخر والتأييد موقف الحكومات العربية ، وفى طليعتها الحكومة المصرية على احتجاجها الصارخ على معاضدة بعض الشيوخ الأمريكيين لقضية اليهود فى فلسطين . ويقيننا أنهم أيقاظ للأحداث الدولية المنتظرة ، وأنهم سيجعلون نصب أعينهم ، وضمن برامجهم السياسية إنقاذ فلسطين من اليهود واستخلاصها للعرب ، واستنجاز انجلترا ما وعدت به فى الكتاب الأبيض ، وأنهم لن يلينوا أمام الضغط والدعاية اليهودية ، وأنهم والحمد لله عامرة قلوبهم بالإيمان والإخلاص والوطنية

إن فى هذه الحرب عظات ودروساً يجب أن نتلقفها ونفيد منها ، فأقوى الأمم وأمنعها حوزة وأغناها مالاً وأكثرها رجالاً ، وأبرعها سياسة لم تخض غمار هذه الحرب بل اتخذت لها درءاً ونصيراً من الأمم التى تتفق معها فى المشرب والمبدأ والأطماع وإن أمماً صغيرة كثيرة قد ابتلعت وتقوضت عروشها . وإن كل الأمم ينشد الحليف والمؤازر فى هذه الحرب القاسية ؛ ونحن

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

صاحبك من بخْتك

هذا مثل مصرى ، وهو يمثل متاعبنا فى الحياة أصدق تمثيل ، فما نشكو فى حياتنا غير قلة الصاحب وانعدام الصديق

وأخطر ما يؤذينى فى حياتى هو الشعور بأنى لا أجد روحاً يجاوب روحى ، وأنا لا أتهم أحداً بالغدر ، فما خلق الله روحاً يقدر على مجاوبة روحى

أنا أعيش بلا صاحب وبلا صديق ، لأنى رجل ليس له بخت ، ولأنى رجل أغناه الله عن البخت ، فليشبع أصدقائى بما عندهم من أطايب البخوت !

أنا أجود بالصداقة ولا أنتظر أىّ جزاء ، لأن جودى فوق الجزاء .

وسيبكى ناس على أنفسهم إن فقدونى ، ولن يفقدونى ، فما تطيب نفسى بالصدود عمن رضيت صحبتهم لحظةً من زمان لن يقول أحدٌ إنه طوّق عنقى بجميل ، فأنا دائماً صاحب الجميل .

كما ذكرنا أمة واحدة فرقتها سياسة العصور المظلمة ، والأطماع الناشئة ؛ أفلا يجدر بنا أن نتعظ ونعتبر ونسير بخطى حثيثة نحو الوحدة أو الاتحاد رائدنا الإخلاص لأنفسنا ولأولادنا

هذا أمل نرجو ألا تعصف به زعازع السياسة ، وأن يبقى عليه كبار الساسة ، أو يتعهدوه بالرّى والنماء حتى يؤتى ثمره حلواً جنياً . (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، وهو ولى التوفيق .

عمر الدسوقى

تباركتَ وتعاليت ، يا فاطر الأرض والسماء ، فقد أغنيتنى عن مجاملة الصاحب ، وملاطفة الصديق

فى لحظة من لحظات الضيق دعوتك فقلت : « اللهم لا تحوجنى إلى أحد من خلقك »

وقد استجبت لدعائى ، فلم تحوجنى إلى أحد من خلقك

وأنا بعد هذا أشكر لك نعمة لم تجُد بها على أحد من خلقك ، إلا أن يكون فى مثل إيمانى بك ، وأدبى معك ، وهى نعمة الصفح عن الصديق الكافر بالجميل

إن قدرتك على خلق البرية بما فيها من أنهار وبحار وجبال ونجوم وكواكب ، إلى آخر ما تعلم وأجهل ، لا تقاس إلى قدرتك على إغنائى من خلقك

علِّمنى كيف أثنى عليك ، فقد عجزت عن الثناء عليك .

ثلاثون سنة ، ثلاثون ، ثلاثون ، وأنا أحارب الناس ، ولم يهزمونى ، لأنهم جهلوا سر قوتى ، وأنا أعتز بك ، وصاحبك من بختك ، وأنت يا إلهى صاحبى وبختى ، ولم يبق إلا أن أرجوك أن تعلمنى كيف أثنى عليك

محرجات القلم الأولى

تمرّست بالصحافة السياسية والأدبية عدداً من السنين ، ولم أشعر بحرج يماثل الحرج الذى عانيته فى الأسبوع الماضى ، ولكن كيف ؟

كنت أعددت مقالاً لمجلة الرسالة أصاول به بعض المتجنين علينا من أدباء لبنان

ثم صلصَل الهتّاف بما معناه : « إن صاحب الدولة رياض بك الصلح أمر بأن لا يُكتب حرف فى صحيفة لبنانية تجنياً على الأدباء المصريين »

وكان فى مقدورى أن أتجاهل هذه الإشارة التليفونية ، وأن أقدم إلى مجلة « الرسالة » مقالى ، وأستريح من تحبير مقال جديد

ولكن الرقيب الأعظم نهى ، وهو ضميرى ، فطويت مقالى ، وكتبت لمجلة الرسالة حديثاً غير ذلك الحديث ، فى لحظة عرجة لم أكن أستطيع فيها كتابة أى حديث

وأنا أعتذر عما جرى به قلمى فى مصاولة أدباء لبنان ، وأتمنى لهم مثل الذى أتمنى لنفسى ، وهو تصويب النظر إلى استكشاف محاسن الصديق

ثم أرجوهم أن يذكروا أننا نعانى محنة قاسية فى حياتنا الأدبية ، فالكاتب اللبنانى يستطيع الظهور بمقالة أو مقالتين ، والشاعر اللبنانى يستطيع الظهور بقصيدة أو قصيدتين ، ولا كذلك الكاتب المصرى أو الشاعر المصرى ، فبلادنا لا تسمح بالظهور لكاتب أو شاعر إلا بعد أن يشق بالنثر والنظم عشرين سنة أو تزيد

الفرق بين متاعبنا ومتاعبكم هو الفرق بين متاعب القاهرة ومتاعب بيروت

نحن فى حياتنا الأدبية نشق شقاء لا يخطر لكم فى بال ، ولهذا ننتظر عطفكم علينا ، ونرجو أن تترفقوا بنا ترفق الصديق بالصديق .

وزعامة مصر الأدبية عبء ألقاه القدَر علينا ، ولولا الحياء لفررنا من حمل ذلك العبء الثقيل

أكرمونا بعطفكم ، أكرمونا ، لنصبر على حمل الراية فى ذلك الميدان

إلى معالى الهلالى باشا

إنك تذكر أيها — الوزير الجليل — أنى تجشمت السفر إلى الإسكندرية فى الصيف الماضى وبيدى مذكرة أزكى بها إنشاء مدرسة ابتدائية فى سنتريس ينتفع بها عشرون بلداً هنالك ، وتذكر أنى أخبرتك منذ أسبوع بما انتهت إليه تحريات مراقبة التعليم الابتدائى ففرحتَ وقلت : سأمضى لافتتاح هذه المدرسة بنفسى فى مطلع العام الدراسى المقبل .

ومع أنى واثق بأنك ستنجز وعدك ، وبأنى أستطيع أن أستهديك ما أريد لخير تلك البلاد المشرين ، فقد جدتْ حالة توجب أن أسارع برفع ما يعترض هذا المشروع من العقبات .

والله بالتوفيق كفيل

كانت ميزانية المعارف للعام المقبل تتضمن إنشاء خمس مدارس ابتدائية ، وبهذا كان الأمل قوياً فى إنشاء مدرسة سنتريس ، ثم سمعت أن الوزارة عدّلت الميزانية فاكتفت بإنشاء ثلاث مدارس ، وخفت أن تؤجَّل مدرسة سنتريس ، وإنما كان الخوف لأن الوزير نفسه حدثنى أنه سينشئ مدرسة فى الدرب الأحمر ومدرسة فى بولاق ، فهل تكون المدرسة الثالثة هى مدرسة سنتريس ؟ ليت ثم ليت !

أنا أرجو معالى الوزير أن يتذكر أن القاهرة تنهب حقوق الأقاليم ، ثم أرجوه أن يضع حداً لهذا الانتهاب ، فما يجوز أن تأخذ القاهرة أكثر مما أخذت ، ولا يجوز أن ننسى أن مواصلات القاهرة تعين القاهريين على الوصول إلى المدارس بأمان ، ولو كانوا من أهل الدرب الأحمر أو بولاق ، ولا كذلك الحال فى الأقاليم ، فالمواصلات هنالك فى غاية من الصعوبة ، ولا يتيسر الانتقال إلا مع التعب العنيف

قد يقال إن نائب بولاق راعى أهل دائرته فيطلب إنشاء مدرسة ، وإن نائب الدرب الأحمر راعى أهل دائرته فيطلب إنشاء مدرسة ، وأنا لا أعترض على مساعى هذين النائبين ، فمن واجب كل نائب أن يقدم لأهل دائرته أقصى ما يستطيع من الخدمات

وهنا تظهر خطورة هذه القضية : فقد مضت عشرون سنة وسنتريس مسرح للحفلات الانتخابية ، وكان كل مرشح يمنينا بأنه سينشئ فى سنتريس مدرسة ابتدائية ، ثم ينفضّ السامر وتذهب تلك الأمانى !

لم يبق إلا أن استهدى عطف وزير المعارف على عشرين بلداً هى أخصب بلاد المنوفية ، ففى سنتريس وحدها أكثر من ثلاثين شهادة عالية ، وموقع سنتريس الجغرافى أجمل من موقع

شبين وأظهر من موقع أشمون

أيكون من حق النواب أن يصل صوتهم إلى قلب وزير المعارف قبل صوتي ؟

هذا مستحيل ، فأنا من أمناء وزير المعارف ، وأنا سفيره إلى جميع البلاد المصرية ، فمن أوضح الواضحات أن أكون سفيره في البلاد التي تجاور بلدي ، وأنا أعرفها كما أعرف نفسي

لوزير المعارف أن يتفضل فيطالب التقرير الذي قدمته لمراقبة التعليم الابتدائي ومعه تقرير الرقيب ، وأي رقيب ؟ هو رجل من أكابر المربين دعاه مراقب التعليم الابتدائي إلى مصاحبتي لمعاينة مدرسة سنتريس ، لئلا يطغى عليّ حبي لبلدي فأقول ان اسمها سنتريس !

لمعالي وزير المعارف أن يقرأ هذين التقريرين ثم يفكر فيما يصنع ، فأنا واثق بأنه سيكرم تلك البلاد العشرين ، وندائي لمعاليه هو نداء تلك البلاد العشرين

زكي مبارك

عبقريات أزهرية مدفونة

للأستاذ دريني خشبة

مئات من الرسائل التي أنشأها النبغاء من أبناء الأزهر في كلياته الثلاث ليحصلوا بها على إجازاته النهائية - على طريقة الجامعات الحديثة - ملقاة في ركن سحيق من أركان الإهمال ، وقلة العرفان في مكتبات الكليات ، لا ينتفع بها أحد ، ولا يلتفت إليها أحد ، ولا يفكر أحد في أن ينفع بهـا الثقافة الإسلامية في الأمم العربية عامة ، والنهضة الفكرية الحديثة في مصر الإسلامية بوجه خاص . والعجيب ، بل أعجب العجب ، ألا يلتفت ولاة الأمور في الأزهر إلى أهمية هذه الرسائل الثمينة في تدعيم شخصية جامعتهم الكبرى ، وإثبات وجودها ، والمساهمة بها في حياة المسلمين الفكرية ، ومحاربة الأفكار الجاهلة التي أخذت تنزو أفهام الناس عن أقدم جامعات الشرق ، بل أقدم جامعات العالم وأعظمها

مئات من هذه الرسائل التي أنشأها النبغاء من أبناء الأزهر بإرشاد أساتذته ، وأساتذة الجامعة المصرية ، وأساتذة النهضة الفكرية في مصر ، مهملة مُغْفلة لا ينتفع بها أحد ، لأن النظام الذي ران على الأزهر الشريف يقضي على تلك الجهود الغالية بالدفن ، كما يقضي على الآمال المنوطة بتلك الجهود بالضياع

لست أدري ما نصيب الأزهر في مئات الكتب التي غمرت السوق الفكرية في السنوات الخمس الأخيرة في مصر ؟ لا شيء !! فهل معنى هذا أن أبناء الأزهر أقل نشاطاً من سائر أبنائنا المتعلمين ؟ كلا ... فالحق الذي لا مرية فيه هو أنهم في القدمة من حيث الإنتاج الذهني الرفيع كما وكيفا ، لكنهم فقراء ، ومتوسط الحال منهم لا يستطيع أن يجازف بما يدخره من قروش في سبيل السَّناء العلمي ولألاء الشهرة ، بطبع بعض ما أنتجت قريحته من ثمار ما ألّف وما يستطيع أن يؤلف ... ولو أن هذه الميزانية الضخمة التي تربط للأزهر كل عام اتسعت قليلاً لطبع شيء من هذه الرسائل النادرة التي أودعها شباب الأزهر جهوده بل أرواحه وآماله لعاد هذا العمل على الأزهر نفسه بالسمعة الطيبة ، وعلى الأمة بالنفع الجزيل ، وعلى نهضتنا الثقافية بالخير العميم ، ثم هو بعد ذلك كله عمل يلفت العالم الإسلامي إلى طابع الأزهر الجديد ، وإلى الروح الذي يحدوه إلى السمو وإلى الكمال

وبعد ، فما هذه الرسائل التي نشيد بها تلك الإشادة ، والتي ندعو جميع الأدباء إلى التفضل بالذهاب إلى كليات الأزهر للاطلاع عليها حيث حُبِست عن الخير العام في أركان المكتبات تشبه المتاحف ، أو أقبية المتاحف ... حتى لتوشك أن تسمع من صفحاتها أنيناً وحسرات شاكية من إهمال أولي الأمر لهـا على هذا الشكل المزري

كتب بعض هذه الرسائل خريجو قسم التخصص على النظام القديم في الأزهر ، ثم كتب معظمها خريجو هذا القسم على النظام الحديث ، وقد بذل كل من أبناء النظامين جهوداً شريفة في الإحاطة بالموضوعات التي اختاروها . والذي يثير العجب

فى الخطة التى انتهجها كل من الفريقين فى وضع رسائلهما هو تجافيهم عن روح الأزهر القديم ، ومحاولتهم فى إخلاص وصدق أن يطبعوا الرسائل بطابع البحث الجامعى المصرى الطريف . ويحسن أن نقصر الكلام الآن على رسائل كلية اللغة العربية تلك الكلية التى تنافس فى شرف وفى نبل معاهد المسلمين فى مصر ، كما تسير على هدى من كلية الآداب بالجامعة المصرية ، وبتوجيه أساتذتها الأفاضل

لقد اهتم كبار كتابنا فى العصر الأخير بالتاريخ الإسلامى فأخذوا يتبارون فى كتابته فى صور شتى ، وأخذت كتبهم تصدر تباعاً ، وتلقف الناس تلك الكتب فرحين مستبشرين لما تجلو لهم من صفحات المجد التى كانوا يسمعون بها ولا يعرفون منها شيئاً ... ومن هذه الكتب ماطبع أكثر من مرة ، ومنها ما لم يبق من طبعاته الأولى شىء ... وقد تألفت أخيراً جماعة أخذت على عاتقها إصدار كتب شهرية عن أبطال المسلمين يتولى الكتابة عن كل منهم إما واحد من هذه الجماعة الفاضلة أو أحد الذين يقع عليهم اختيارها من أرباب الأقلام فى مصر وفى شقيقاتها من الأمم العربية ... ولقد شهدت فى مكتبة كلية اللغة العربية مجموعة كبيرة من الرسائل فى التاريخ الإسلامى تناولت رجاله بالترجمة والنقد والتحليل والتحقيق (وتغلية) الموسوعات التاريخية والمقابلة بين رواياتها ، وممارضة تلك الروايات بما حققه المستشرقون ، وماوقع فيه هؤلاء من الحيف والتخبط أحياناً ... مما لا يتوفر مثله من التمحيص إلا للدارس المنقطع الذى يرى بين كل سطر من سطوره وجه سائل أو يسمع اعتراض مناقش أو حجة ممتحن . فما راقنى من هذه البحوث المركزة ، وما يحسن التمثيل به لما حوت تلك المكتبة من هذه الرسائل : بحث فى نظام ولاية العهد فى الإسلام ، ورسالة عن دخول الإسلام إلى الهند وانتشاره فيه ، وأخرى عن تاريخ الإسلام فى جزيرة صقلية ، ورابعة عن العلاقات السياسية بين الرومان والعرب ، وخامسة عن العلاقة بين العلويين والعباسيين ، ورسالة عن نشأة الدروز وعقائدهم ، وبحث جميل مستفيض عن الأحزاب السياسية فى عصر بنى أمية ، ورسالة عن دولة بنى بويه ... ومن البحوث غير الإسلامية رسالة أنشأها طالب هندى فى تاريخ سوامى ديانند مؤسس الديانة الآرية فى الهند ، وهو أول كتاب من نوعه فى اللغة العربية ، أنفق فيه صاحبه جهوداً تثير الإعجاب ... هذا ، إلى مئات من الرسائل الأخرى التى تغطى التاريخ الإسلامى كله ، وتتناول أبطاله المشهورين وغير المشهورين واحداً واحداً ، فى عرض جميل ، وتبويب جيد ، وتحقيق لم يدع مصدراً فى دور الكتب المصرية ، مخطوطاً أو مطبوعاً ، إلا تناوله واستوعب مافيه

أما الرسائل الأدبية فهى بلا شك مفخرة أبناء كلية اللغة العربية ، سواء منهم من تخصص بعد الشهادة العالمية للمهنة — أى لمزاولة التدريس فى المدارس وفى الأزهر ، ومدة هذا التخصص ثلاث سنوات — أو من تخصص منهم للمادة — ويتولى خريجو هذا القسم التدريس فى كلية اللغة العربية نفسها ، ومدته سبع سنوات كاملة (١١) . فمن أبدع ما يستلفت النظر من رسائل الأدب رسالة فى تاريخ القصة فى الأدب العربى ، رأيت لزاماً أن أخص صاحبه فى كلمتى هذه بالتهنئة لما استطاع أن يتناول به فى بحثه القيم أطراف هذا الموضوع المتشعب من الاستقصاء والاستيعاب ، ومنها رسالة فى الكتابة فى العصر العباسى شن فيها صاحبها حرباً شعواء على كثيرين من رجال الأدب فى مصر ، وكال فيها للدكتور زكى مبارك كيلاً شديداً ، ثم رسالة طريفة عن الموشحات — نشأتها وصلتها بالشعر ، وهى رسالة جيدة ما كان أحوج المكتبة العربية إليها ... ثم عشرات من الرسائل عن البحترى والحطيئة والأخطل وابن زيدون والعرجى والأصمعى وغيرهم من ألمع الأسماء فى الأدب العربى ، وممن لم يتناولهم أحد فى بحوث خاصة مستقلة إلا أبناء هذه الكلية الجنود المجهولون ... ومن أطرف رسائل الأدب رسالة أنشأها صاحبها عن الأدب فى عصر المماليك ، وقد تناولت الرسالة هذه الناحية الغامضة من تاريخ الأدب المصرى فى عصر من أغمض عصوره ... أما الرسائل التى وضعها متخصصو المادة فلا تزال قليلة العدد لقلة خريجى هذا القسم ، وهى على قلتها رسائل جيدة عالية القدر شاملة الإحاطة ، رأيت منها رسالتين فى أدب الخوارج وفى أدب الشيعة ، فلا أبالغ إذا سجلت هنا أنهما من أثمن ما كتب فى هذا الموضوع فى العالم العربى .

ومن أكبر المآخذ على أزهرنا الشريف المبارك ذى الميزانية

الأنات الحـــائرة... (*)

للأستاذ راشد رستم

... وبعد فلست حائراً معك حيرتك مع الأنات أو حيرة الأنات معك ، أو حيرة الناس من هذه الأنات ، فلقد رأيتك بالأمس فى الأمس باكياً ، وسمعتك اليوم فى هذا الأمس ناعياً ، وأشهد أنى أعهدك فى كليهما شاعراً شادياً

إنك عاطفى رفيع ، وإنك عاطفى عميق ، ولا أقول قد تظهر منك العاطفة وتختفى ، ولا أقول هى قد تثور أو قد ترعوى ، فإن العاطفة عندك هى منك ، وهى قائمة عند المحراب تصلى دائما

* * *

ولقد حزنت عندما وصلتنى أناتك ، ثم « فرحت » بها لذاتها كما فرحت بها لأنها منك

أخذت أهمس لنفسى مترنما ، وحيداً صامتاً ، وأحيى بهـا الحزن صباحا ومغرباً ، وستبقى هى آمنة فى مكانها الحبيب ، كما سيبقى رنينها عالياً داوياً – وهكذا فى الوقت الذى تبقى كامنة ساكنة هى فى الحق ثائرة فائرة ...

إن مستودعها عندى ، رغم جرمه الصغير ، واسع كبير ، يملأ الدنيا حباً ، وتملؤه الدنيا تعباً ...

* * *

ولما آنستنى « الأنات الحائرة » غير حائرة ، ونزلت عندى قادمة راغبة ، أقبلت عليها راضياً شاكراً ، ثم رحت معها راشداً شارداً ...

وإذا أنا قد تأخرت فى النـداء فلست مقصراً ولا عامداً ، ولـكنها موجة الأسى تملـكت النفس بالهوى والقلب بالجـوى ، فاستكانت الروح نائمة ثم استيقظت على الصوت الذى أبعث به اليوم إليك مناجياً ...

* * *

وإن لى من الأصدقاء من هم أهل العاطفة الباكية الشاكية ، وحملة القلوب الحائرة الثابتة ، فذكرتنى أناتك بهم كما ذكرتهم بها ، لأنها إبداع مثل إبداعهم وعواطف من طراز عواطفهم

* * *

(*) رسالة كان قد بعث بها الـكاتب إلى صديقه الشاعر عزيز بك أباظة صاحب ديوان « أنات حائرة » ، وبينهما مودة من الصغر

الضخمة والأحباس الخرافية أن يغير هاتين الرسالتين كما يصنع بأشباههما ، فلا ينتفع بهما وبأمثالها العالم الاسلامى والمشتغلون بالأدب ... ومن رسائل التخصص فى المادة بحوث قيمة فى البلاغة وتاريخها ...

ومن أروع ما يلفت النظر من رسائل اللغة رسالة فى المبرد لا توجد إلا فى مخطوط ضخم فى دار الـكتب العربية ، وكان لا بد أن يشهد أعضاء لجنة الامتحان هـذا المصدر بأعينهم ، فلما رفضت دار الـكتب إعارة الطالب هذا المصدر ، اضطر إلى نسخه كله . . . فـكم من الجهد والعناء تجشم هذا الطالب المسكين فى إنشاء رسالته الطريفة النادرة يا ترى ؟!

ذلك ويطول الـكلام إذا استعرضنا رسائل التربية وعلم النفس وما تناول به الخريجون تاريخ التعليم الإسلامى في مدارس بغداد والـكوفة والبصرة ودمشق والقاهرة وقرطبة ، وأصول التربية فى القرآن والسنة ... ثم مئات الرسائل فى مختلف أبواب النحو والصرف والبلاغة والبيان والعروض

هذا قل من كثر ... وهذا كله فى كلية اللغة العربية فقط ... وله أشباه ونظائر فى الكليتين الآخريين ... وهى عبقريات أزهرية مدفونة من التقصير المعيب أن تعمى عنها عيون القائمين بالأمر فى الازهر الشريف المبارك . . . وليذكر الذاكرون أن أعظم رجال النهضة فى مصر الحديثة كانوا ناساً كهؤلاء الناس المغمورين ، وأنهم جميعاً ، أو أكثرهم ، ممن للأزهر فى ثقافتهم أوفر نصيب ، عن قرب أو عن بعد . وأنه لو أتيح لـكثير من هؤلاء النبغاء المغمورين سبيل الظهور والعمل لنفعوا عالم التأليف العربى بما لا يقدر عليه غيرهم ، ولانتفعت بهم نهضتنا الثقافية بما لا تنتفع به إلا منهم ، ولهدأ لطائفة عظيمة منهم القيام بواجبهم الأدبي مكان زعماء تلك النهضة (بعد عمر طويل !)

وبعد ... فهذه ناحية من عبقرياتنا المدفونة توجد لها أشباه فى الجامعة المصرية وفى دوائر ثقافية أخرى نرجو أن نتكلم عنها وننبه إليها قريباً .

دريني خشبة

ذهبت إلى « جوتيه » شـ ... الألمان ، فإذا به يعجب ويقول
وحيد !! لا . لست أنا وحيداً . . إننى أعيش مع الذكريات
والصور العزيزة المحبوبة ...

ثم التفت إلى كاتب الفرنـ ... « أناتول فرانس » ، فإذا به
يقول وكأنه يرد على صاحبه ـ ما حاول المرء فإنه دائماً وحيد
فى هذا العالم ...

فرجعت إلى صاحب التفـ ... الواسع السيد جان جاك روسو
فإذا هو يُلاقى القول المادىَّ ... لاقى من الزمان شدته فيقول ـ
كلما كانت الوحدة التى أعيشـ ...ها عميقة شاملة كانت الحاجة
أدعى إلى بعض الذكريات لمل ... ذا الفراغ ...

ثم اتجهت إلى البحر الز ... والشاعر الحائر والروح الثائر
السيد فيكتور هوجو فإذا به ... غ القول على طريقته فيقول ـ
إن الفكر المُنبت كالصحرا ... كئيب رغم الاتساع ، مظلم رغم
الضياء . .

ثم رأيتنى منـذ عشرين ... أستودع يومياتى الفرنسية فى
الغرب قولاً لم يتغير منى إلى ... م ، فكنت أقول ـ إن من
لا حاضر له ينظر دائماً إلى ... سيه ، ومن كان له حاضر فهو
لا يرقب إلا مستقبلاً . ولكـ ... ليست الحياة حاضراً قائماً يتحول
باستمرار إلى ماض يفوت ولا ... وت ...!

ثم لقيت فى طريقى عجو ... يناجى نفسه ويقول : الماضى !
الماضى ! هو القوى القدير . هو ... القوى القدير ! الماضى ! الماضى ...
فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله ...

* * *

ثم ذكرت كلاماً كان عجـ ... أن ينشر فى « الحديقة والمنزل »
وأن تنطوى صفحاتها على هـ ... العبرات جنب تلك الزهرات
مما جعلنى اليوم أسأل الأيام هل كان ذلك عن حاجة إلى الذوق ،
أم هى تنسيقات الحدائق والبيوت ، أم هى صفحات الحياة ... ؟

وجدتنى « أبكى لأنى أرى ما يبكينى . وهذا المحزون أقرؤه
عنى السلام . كل له حزن يعنيه ، وما عرف الدنيا إلا حزين ..
أسمع التنهدات بعد الضحكات فأسمع ترجيع صدى لحزن
مضى ... ورنيناً لأنين سيأتى ... وأشعر فى ثنايا الضحكة نذير
الدمعة ... وأرى الابتسامة علامة الخوف من قرب الأسى ...
إن دموع الأحزان هى أنقى دموع الإنسان ...
والبكاء أول ميراث الأحياء الكرام من الأموات الكرام »

* * *

ووجدتنى فى نفس الحديقة أرى فى الوقت ذاته الوجه الجميل فى إطار من الزهر الجميل ، وأسمع الشعراء يترنمون بأناشيد الربيع ، وكان ربيعاً ، وأرى الغانيات الحسان يمرحن ويسرحن تحت الخمائل وبين الظلال ...

فرجعت مسرعاً إلى شاعر الحب والحيـاة السيد الفريد دو موسيه ، فإذا به هادئ مطمئن ، يلقانى حزيناً باسماً ويقول فى صوته الخافت ولغته السهلة النافذة : جميل أن تبكى وجميل أن تبتسم ...

* * *

وأخيراً ... ذكرت نغمات بكلمات سمعتها من سيدة باسمة الوجه ، صبوح نصوح ، تترنم وتقول : هل فى العالم حزن ؟ إننى فى عجب ! هل من يبكى وهـذه الشمس تسطع فى السماء ، وهذه الأرض سندسة خضراء ! لماذا البكاء وهذه الحياة حلم وهى هباء ... ودمت لأخيك

(المادى) راشد رستم

محاورات المـــوتى

المحاورة الثانية

للأديب الفرنسي برنار بوفيه دفونتنيل

بقلم الأديب يوسف روشا

أنكريون وأرسطو

أنكريون : شاعر غنائي إغريقي شهير من بلدة تيوس في يونيا ولد حوالي ٥٦٠ قبل المسيح . كان دأبه التغني بالحب والخمر.

أرسطو : من أعظم فلاسفة الاغريق ولد حوالى ٣٨٤ قبل المسيح . فلما بلغ الثامنة عشرة من عمره ذهب إلى أثينا وتلمذ لأفلاطون عشرين عاما وتلقى بعد ذلك دعوة من بلاط مقدونيا ليعلم الاسكندر ، وكان يومئذ في الثالثة عشرة من عمره . ولأرسطو الفضل الأكبر في نشوء الفلسفة والعلوم وازدهارها ، وخاصة في العهود التي سبقت النهضة الفكرية والعلمية الحديثة .

ابتداء المحاورة

أرسطو : لم يخطر ببالي أن يجرؤ شاعر غنائي على أن يقارن نفسه بفيلسوف شهير مثلي .

أنكريون : أنت رفعت اسم الفيلسوف ، وأنا أيضاً أسكرت النفوس بأغاريدي ، حتى أصبح الناس يلقبونني بأنكريون « الحكيم » وإنه ليلوح لي أن لقب « الحكيم » لا يقل منزلة عن لقب « الفيلسوف »

أرسطو : إن الذين منحوك هذا اللقب لم يتدبروا ولم يفكروا ؛ وإلا فما الذي عملته حتى تستحق أن تلقب بالحكيم ؟

أنكريون : أنا لم أعمل شيئاً سوى الشرب والغناء والغزل . وإن من أعجب العجب أن ألقب « بالحكيم » بهذا الثمن البخس ، على حين أنك لم تحصل على لقب الفيلسوف إلا بشق النفس . فكم سهرت من ليال محاولاً نظم ما انتثر من علم المنطق الشائك ! وكم ألفت من كتب ضخمة في موضوعات غامضة لعلك لم تفهمها أنت نفسك حق الفهم

أرسطو : أعترف بأنك قد توخيت أسهل الطرق إلى الحكمة . ولو لم تتكن على جانب عظيم من الذكاء لما استطعت أن تبلغ بقيثارك وكأسك من المجد ما لم يبلغه أعاظم الرجال بالدرس العميق والجهد المتصل

أنكريون : إني لأشم من كلامك رائحة التهكم ؛ ولكني مازلت أعتقد أن من أصعب الأمور على المرء أن يشرب ويغني كما كنت أشرب وأغني ، وإن من أسهلها عليه أن يفلسف كما تفلسف أنت . إنك لكي تشرب وتغني كما كنت أفعل ، يجب أن تتجرد من العواطف الجائشة ، وألا تطمح إلى شيء ليس إلى حصوله من سبيل ، وأن تكون مستعداً لأخذ الحياة على علاتها . وقصارى القول إن هناك عدداً من المسائل الصغيرة يجب على المرء قبل كل شيء أن يتدبرها مع نفسه ؛ وأن هذه المسائل وإن كانت لا تحتاج إلى براعة فائقة ، لا ينتهي منها المرء إلا بعد عناء طويل . أما أن يفلسف المرء كما كنت تفعل ، فلا يحتاج إلى كل هذا العناء ، ذلك لأن الفيلسوف لا يضطر إلى معالجة نفسه من الطموح أو الطمع ، وأن من الفلاسفة من تجمع لديه من المنح خمسمائة ألف ريال ، ولكنه لم ينفقها كلها في سبيل العلم كما أراد مانحها . وجملة الكلام أن في هذا النوع من الفلسفة أشياء كثيرة تنافي الفلسفة

أرسطو : يظهر أنك سمعت عني وشايات كثيرة منذ هبطت إلينا . ومهما يكن من الأمر فإن مقياس الرجل عقله ، وإن أسمى عمل في الوجود هو أن تعين الناس على فهم أسرار هذه الطبيعة واستجلاء غوامضها

أنكريون : إن هناك ما يبرهن على أن الرجال يسيئون استعمال كل شيء . فالفلسفة في ذاتها شيء جميل للغاية ؛ ولو أحسن الناس استعمالها لأفادتهم فوائد جليلة جزيلة ؛ ولكنهم أشفقوا من أن تربكهم إذا هي تدخلت في أمورهم فقذفوا بها في الفضاء

لتبحث عن الكواكب وقياس حركاتها ، فإذا أعادوها إلى أرضهم استعانوا بها على بحث ما يظنونه هناك . وخلاصة القول أنهم حريصون ما استطاعوا على أن تكون الفلسفة مشغولة عنهم . ولما كانوا شديدى الرغبة فى أن يكونوا فلاسفة بأيسر كلفة فقد وسموا بفضل براعتهم ، استعمال هـذا اللقب حتى أخذوا يسبغونه فى أكثر الأحيان ، على الذين يبحثون فى قوانين الطبيعة .

أرسطو : وهل ثمة لقب أصلح لهؤلاء من هذا اللقب ؟

أنكريون : الفلسفة يجب أن تعنى بالناس فحسب ، وألا تشغل نفسها بما عداهم ؛ فالفلكى ينظر فى النجوم ، والطبيب يعنى بالأجسام ، والفيلسوف يفكر فى نفسه . ولكن من ذا الذى يرضى أن يوضع فى مثل هذا الموضع الشائك ؟ لا أحد ، واحسرتاه ! ولذلك سمحوا للفلاسفة ألا يكونوا فلاسفة ، واقتنع الجميع بأن يكونوا فلكيين أو أطباء . أما أنا فإنى لم أكن بطبيعتى ميالاً إلى الأمعان فى التفكير ؛ ولكنى واثق بأنه ليس فى أكثر الكتب الفلسفية فلسفة بقدر ما فى بعض قصائدى التى تزدريها هذا الازدراء . وإليك واحدة منها على سبيل المثال :

« لو أن فى إمكان « الأصفر الرنان » أن يطيل أمد الحياة السريعة الإدبار ، لكلفت به أشد الكلف ، ولملأت منه خزائنى ، حتى إذا ما حانت الساعة ، ولم يبق لى عند أحد شفاعة ، رشوت به الموت ليؤجل حتفى . أما وإن ذهب الدنيا كلها لا يستطيع أن يمد فى حياتنا ساعة واحدة ، ولا أن يثير حلك القبر فلماذا إذن نمنّى أنفسنا ونذرف الدمع السخين ، بلا جدوى ، على مصيرنا المحتوم ؟ لا ... أعط الثروة غيرى ، فليست لى بها حاجة ، ودعنى أرتع فى ملذاتى ، بين أصحابى ولداتى ، وليكن نصيبى مما بقى من حياتى تلك الأفراح التى لا يقدر على منحها إلا الحب »

أرسطو : إذا شئت أن تقصر الفلسفة على علم الأخلاق فإنك واجد فى كتبى عن الأخلاق أشياء لا تقل إبداعاً عن قصائدك . ومهما يكن من أمر هذا الغموض الذى قد تجده فى بعض كتبى ، والذى من أجله وُبِّخت أعنف توبيخ ، فإنك لن تجده فى كل ما كتبت فى ذاك الموضوع . لقد أقر العالم أجمع بأنه ليس ثمة أوضح ولا أروع مما قلت فى العاطفة

أنكريون : ما أشد خطأك ! ليست المسألة مسألة تحديد العواطف على طريقة من الطرق كالذى زعموا أنك فعلت ، بل المهم التغلب عليها وقهرها . فالرجال يضعون بين أيدى الفلاسفة أخطاءهم عن طيبة خاطر ، للنظر فيها لا لعلاجها . ولقد اكتشف الفلاسفة سر إيجاد قواعد أخلاقية لا تمسهم بقدر ما يمسهم علم الفلك . وكيف نملك ألا نضحك عند ما نرى رجالاً يذمون المال وهم أشد الناس تكالباً على اقتنائه ؟ ثم كيف نمسك نفوسنا عن الضحك عند ما نشاهد أراذل الناس يتشاجرون فيما بينهم على تحديد معنى الشهامة .

(بغداد) يوسف موشا

منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأســـتاذ سعيد الديوه جي

— ٣ —

وأما رأى الشيخ عدى فى النزاع بين « على ومعاوية » فإنه يقول « كانا إمامين مجتهدين، ولكن المصيب منهما على رضى الله عنه، وأصحابهما أصحاب إمامين مجتهدين، وقتالهم كان باجتهاد ولطلب الحق لا لحظوظ الدنيا، ولم يكن أحد منهم حريصاً على قتل أخيه، وقتلاهم جميعاً فى الجنة. ونكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وننشر محاسنهم رضى الله عنهم، وإن الله قد غفر لهم »، فنرى أنه كان معتدلاً فى رأيه يرى أحقية « الإمام على »؛ ولكنه مع هذا لا يبخس « معاوية » حقه.

وامتاز عصره بظهور عدة مشايخ كل « كالشيخ عبد القادر الكيلانى، والشيخ قضيب البان الموصلى، والشيخ أحمد الرفاعى، والشيخ وهب السنجارى » وغيرهم كثير. وكان « الشيخ عدى » أحد هؤلاء الكمل. وأسس طريقته « العَدَوِية » فدخل فيها الأكراد والموالون للحزب الأموى ومن هذا الوقت صار يطلق على أنصار الحزب الأموى اسم « الأكراد العَدَوية » فظهرت حركتهم بمظهر صوفى، ولكن حبهم لبنى أمية لم يطرأ عليه تغيير سوى أنهم خففوا من بغضهم لآل البيت، وكان ذلك بتأثير شيخهم « عدى ». وعُمِّر الشيخ عدى تسعين سنة. ونال من القبول عند أصحابه مالم ينله سواه. وتوفى سنة ٥٥٧ هـ، ودفن فى زاويته التى بناها « بلالش »، وقبره هناك معروف يزار.

وكان الشيخ قد استخلف ابن أخيه « صخر » قبل موته، وكان هذا عالماً عاقلاً على جانب كبير من الدين والتقوى، وصارت منزلته عند العدوية لا تقل عن منزلة عمه. سلك بأتباعه طريق الخير وأبعدهم عن المفاسد والشرور.

وخلفه بعد موته ابنه « أبو المفاخر عدى »؛ وكان لا يقل عن أبيه فى العلم والورع وسلوك طريق الخير بأتباعه. وصار لهذه الأسرة منزلة عند العدوية دونها منزلة الملوك. ولكن الثلاثة الذين سلفوا لم يتدخلوا فى أمور الدنيا. انقطعوا إلى الله عز وجل فكان الله معهم.

الدور الثالث

الشيخ حسن وابتداء الغلو فى يزيد ومعاوية

وكثيرا ما تغر الدنيا بعض أصحاب المذاهب والطرق الدينية فينحرفون عن الجادة المستقيمة التى سار عليها آباؤهم وأجدادهم، وذلك استئثاراً بطاعة الأتباع واستغلالهم لمصالحهم الدنيوية. وإن « الشيخ حسن » هو أحد الذين غرتهم الدنيا لأنه وجد ما عليه أسرته من المنزلة الرفيعة وطاعة الأكراد العدوية لهم وشدة بأس هؤلاء الأكراد؛ وإن إشارة بسيطة منه تسوقهم إلى الموت وهم راغبون، فسولت له نفسه أن يبدل دينه وأن يظهر فى الأرض الفساد. وهو بلا شك كان يريد أن يستغل الضعف السياسى الذى كان يشمل العالم الإسلامى فى القرن السابع الهجرى ليعيد تشكيل الدولة الأموية. وربما كان يقدر له هذا لو سار على الطريق المستقيم الذى رسمه « الشيخ عدى الكبير ».

انقطع « الشيخ حسن » عن أصحابه ست سنين ثم ظهر لهم وقد ألف « كتاب الجلوة لأرباب الخلوة » زاد أشياء باطلة فى اعتقادهم نظماً ونثراً، وغالى فى تعظيم « يزيد وعدى » ووجد كلامه قبولاً حسناً عندهم لأنه كان من رجال العالم رأياً ودهاء، وله فضل وأدب وشعر فى التصوف يستهوى به أصحابه. وبذلك انقلبت الطريقة « العـــدوية » إلى فرقة مغالية فى حب « يزيد وعدى »، فتطورت من طريقة دينية إلى حزب ثورى له صبغة دينية باطلة. فكم من دعوة صالحة انقلبت إلى غى وضلال! وكم من مبدأ سام انعكس إلى جمعية هدامة! هذا إذا تولى الأمر أصحاب الأهواء والمطامع.

انتقل الشيخ حسن إلى الموصل وسكنها. ولعله كان يريد بهذا أن يكون على اتصال تام بأرباب الحكم « الاتابكى » لينفث سمومه الفتاكة فيهم ويتحين الفرص المناسبة. وصار له مريدون وأتباع فى هـذه المدينة، كما أنه نشر دعاته فى (هيت)

والكبيسات . وسنجار . وسامر تكريت .وسورية) ولاقت قبولاً عند اليمض لولا مناوأة ا العلوى لها . وسار الملوك يخشون أمر هذه الدعوة . وخا بدر الدين لؤلؤ » صاحب الموصل فإنه كان من أكبر المناو ا لأنه يخشى على ملكه اقربه منهم . وفى سنة ٦٤٤هـ قبض شيخ حسن وحبسه ثم خنقه بوتر وبدد شمل أصحابه من الم وفتك بهم فتكاً ذريعاً ، ثم أخذ يختلق الحجج على د الشيخ عدى ، ويكلفهم ما لا يطيقونه ، ويرهقهم بالضـ ب الفادحة . وفى سنة ٦٥٢هـ جهز جيشاً كبيراً عليهم وأعمل يف فيهم ونبش قبر الشيخ « عدى الكبير » وأحرق عظ فأضعف أمر هذه الفرقة . ولا ننسى أن الملك « بدر الدين ؤ » كان يميل إلى العلويين كثيراً ، وأنه بنى الأضرحة تد المديدة فى الموصل لأبناء « الإمام على » ولا تزال هذه كن شاهدة على ما نقول

هذا هو تطور هـذه الفئة حزب سياسى معاد لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إ يقة صوفية عدوية خالصة لله ، إلى فرقة مغالية فى حب « يزيد ى »

الدور ابع

خروجهم عن الإسلام

وفى القرن الثامن الهجر: دأ انحراف هذه الفرقة تزداد عن الإسلام ، ودخل التجسم ز عتقادهم . ولا سيما أن رؤساءهم الدينيين حرموا القراءة والكتابة يهم فأوقعوهم فى ظلمات الجهل ، وسخروهم لمصالحهم ، وقادوه يث أرادوا . ودخل عقائدهم عقائد يهودية ومسيحية وو وصابئية وخارجية . وكانوا يسترون عقائدهم الزائغة عن الإ سلام بكتمانها وعدم إباحتها . وصاروا بذلك فرقة باطنية خا جة عن الإسلام . ولا ندرى متى تم هذا الانفصال ؛ ول كن بعض النصوص تصرح بأن يزيدية « جبل مقلوب » بقـ ا محافظين على إسلاميتهم حتى القرن الحادى عشر الهجرى ؛ وهم على المذهب الشافعى كبقية الأكراد ، ولا يشوب عقيدتهم لا بغض « آل البيت » والتطاول عليهم . ولهذا فإننا نرجح أن نفصال اليزيدية عن الإسلام تم فى العصور المتأخرة أى بعد القرن الحادى عشر الهجرى

عقائدهم

تكفيرهم بقية الأديان

يعتقدون أن الأمم الباقية من مسيحيين ويهود ومسلمين على ضلال . ويجب على « اليزيدية » أن يجتنبوهم لأن إلـهم «طاووس ملك» لا يحبهم كما يحب اليزيدية . وعليهم أن يكتموا أمر دينهم وكتبهم المقدسة عنهم ، كما يحذرهم من قراءة كتب هذه الملل لأنها مبدلة . جاء فى كتابهم « الجلوة » « لا تقبلوا كتب الأجانب من اليهود والنصارى والإسلام لأنهم غيروها ، ولـكن اقبلوا مايوافق سنتي » . وقال أيضاً : « جميع الكتب الموجودة بين الخارجين بدلوا فيها وزاغو عنها ولو كتبها الأنبياء والرسل المرسلون لأن كل واحد يبطل الآخر وينفى قوله ويضادده الحق والباطل معلوم عندى حتى وقوع البشر فى التجربة » وهو يوصى أتباعه بالتعاضد والتكاتف ومقاومة من يريد أن يتطاول على تعاليم « طاووس ملك » ، وعليهم أن يحتملوا المصائب والمحن بسبب هذا . وهو لا ينسى نصيبهم من المكافأة فى أحد العوالم . قال فى الجلوة : « الذين يحتملون المصائب والضيقات بسببى لا بد لى من مكافأتهم بأحد العوالم . جميع أتباعى أريد أن يتحدوا برباط واحد لئلا يضادوهم الأجانب . أيهـا الذين تبعتم وصاياى وتعاليمى أنكروا تعاليم الأجانب وأقوالهم لأنى لست أنا معلمها لهم وليست من عندى لا تذكروا اسمى ومكانى أمام الخوارج لئلا تندموا ؛ لأنكم لا تعلمون ما يفعل الأجانب » ونرى كـثيراً ما يوصيهم بالكتمان والمحافظة على أسرار كتبهم ودينهم لئلا يطلع الأجانب عليها ، ولهذا فأن اليزيدية لا يبيحون بحقيقة اعتقاداتهم لأحد ؛ وإن باحوا بشىء منها فلا شك أنهم يحرفونها امتثالاً لأمر « طاووس ملك » وقد جاء فى مصحف رش بأن طاووس ملك خلق لهم عدة ملوك قبل الأمويين ، وأن ديانتهم كانت قبل المسيح تسمى وثنية « وكل اليهود والنصارى والإسلام وغير ذلك من الطوائف حتى العجم أيضا قاموا ضد ديانتنا ، ولـكن لن يقدروا علينا ولا علينا قط ، لأن إلـهنا يقوينا عليهم ويعلمنا العلم الأول والآخر »

(للكلام صلة) سعيد الديوه جي

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٣٣ – لولا الفول لطاروا

قال أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى فى كتابه (ألف با): كنت أقرأ على الحافظ بالإسكندرية (رحمه الله وحرسها) جزءاً من تآليفه، فمررتُ فيه بحديث يَرويه عن أشياخه عن الشافعى (رضى الله عنهم) قال: الفولُ يزيد فى الدماغ، والدماغ يزيد فى العقل. وأهلُ تلك البلاد[١] ينقطون الفاء بواحدة من فوق، وينقطون القاف باثنتين من فوق أيضاً، فلم ألْقِ بالى، وحسبت الفاء قافاً فقرأت (القول يزيد فى الدماغ) فضحك – وكان حلواً ظريفاً، رحمه الله – وقال لى: القولُ يفرّغ الدماغ أو نحو هذه الكلمة. فقلت له: القول عندى فى الكتاب. فقال: إنما هو الفول، فأعلمني بمذهبهم فى النقط، فقلت له: كيف يزيد الفول فى العقل، ونحن نقول فى بلادنا بخلاف ذلك؟ فضحك وقال: سألتُ عن هذه المسألة شيخي فلانا فقلتُ له كيف هذا وطَبَرِسْتان أكثر بلاد الله فولاً، وأهلُها أخفُّ الناس عقولاً؟ فقال لى: لولا الفول لطاروا ...

(الرسالة): كان المرحوم الدكتور عباس حلمى طبيب الأزهر على عهدنا يرى هذا الرأى ويقول: «لولا الفول لجن الأزهريون من طول النظر فى كتبهم المعقدة»

٥٣٤ – تمنيت وكيلا فسميته صديقا

قال أبو حيان على بن محمد التوحيدى: قلت للهائم أبى علىّ: من تُحبُّ أن يكون صديقَك؟

قال: من يطعمنى إذا جعت، ويكسونى إذا عريت، ويحملنى إذا كلَلْت، ويغفر لى إذا زَلَلْت

فقال له على بن الحسين العلوى: أنت إنما تريد إنساناً يكفيك مَؤونتك، ويكفُلُك[١] فى حالك، كأنك تمنيت وكيلاً فسميته صديقاً . . .

فما أحار الهائم جواباً

٥٣٥ – قد ضل عقلى فى تراكيبه

أنشد للمأمون:

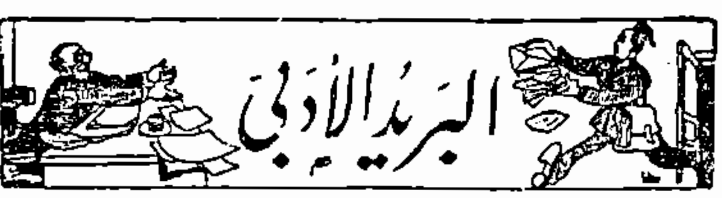
أما ترى ذا الفلك الدائرا ... أبيت من همٍّ به ساهرا
مفكراً فيه وفى أمره ... فما أرى خلقاً به خابرا
يُخبر عن لطف تدابيره ... وكيف أضحى للورى حاصرا
قد ضلَّ عقلى فى تراكيبه ... وصار قلبى والهاً حائرا
يا ليت شعرى هل أرى مرة ... أكون فى أبراجه سائرا
أكون معْ طالعها طالعا ... وتارةً معْ غائرٍ غائرا
حتى أرى جملةَ تدبيره ... وأعلم المستورَ والظاهرا

٥٣٦ – الغنى والفقر

سئل أبو محمد الجريرى عن الفقر والغنى أيهما أفضل؟ فقال: لو لم يكن من فضل الفقر إلا ثلاث: إسقاط المطالبة، وقطع عن المعصية، وتقديم الدخول إلى الجنة، لكفى. فنقل هذا الكلام إلى أبى العباس بن عطاء «أحمد بن محمد» فقال: يا سبحان الله! وأى فضل يكون أفضل مما أضافه الله إلى نفسه؟ وأى شيء يكون أعجز من شيء تناف الله عنه؟ لأن الله أضاف الغنى إلى نفسه، وتناف عن الفقر، واعتد على نبيه فقال: (ووجدك عائلاً فأغنى) ولم يقل فأفقر، فكان اعتداد الله بالعطاء لا بالفقر. ثم ذكر عند تشريف أسماء العطاء «إن ترك خيراً»، ولم يقل: إن ترك فقراً. فإن احتج محتج بأنه عرض عليه (صلى الله عليه وسلم) مفاتيح الدنيا فلم يقبلها وتركها اختياراً؛ فهذه صفة التاركين، والتارك لا يكون إلا غنيا.

(١) يعنى المشارقة، والمغاربة ينقطون الفاء بواحدة من تحت، والقاف بواحدة من فوق

(١) كفلت الرجل والصغير: علته وقت به (المصباح). «وزلت» بفتح اللام وكسرها وقرئ بهما



٣ – الشعر الجديد

إنى أعتبر الحقبة التى نبغ فيها البارودى وصبرى وشوقى وحافظ ، من أعظم حسنات الدهر على الشعر . فإن هؤلاء الأفذاذ قد أضاءوا لنا الظلمة الحالكة ، بعد أن لبثنا فيها أحقاباً طوالا

فالتفت إليهم العالم العربى – ومصر خاصة – التفات السارى إلى النجم المتألق ، واستمع لهم وأنصت ، وتحلى[1] تفريدهم ، وتدبر معانيهم ، وفقه مراميهم ، واستظهر قصائدهم . ثم لقد ذهبت فينا حكمهم مذهب الأمثال ، نرددها فى أنديتنا وسوامرنا ، ونستعذبهـا لقربها من قلوبنا ، وعلوقها بمواطفنا ، وصلتها بأرواحنا

إنهم قد ترجموا لنا حياتنا ، وعبروا عن آلامنا وأمانينا ، وغنوا لنا فى أفراحنا ، ورفهوا عنا فى أتراحنا ، ووصفوا الوصف المُجاب ، وأبدعوا وجددوا ما شاء لهم التجديد والإبداع

لقد نفخوا فى الشعر روحاً ، ونفثوا فى العربية حياة ، وتركوا من ورائهم ثروة زخرت بالنفيس من القول ، والفائق من التصوير ، والشريف من المعانى

إنهم لم يَعنفوا حين عبروا ، ولم يُغربوا إذ فكروا ، ولم يكن الزخرف من صناعتهم ، ولا البديع من مقاصدهم . فجاءت لنهم صفواً رائقة ، وأساليبهم سائغة شائقة ، وألفاظهم عذبة فائقة

لم تكن ثقافتهم من نوع واحد ، ولا كانت من طبيعة واحدة . ثم لقد اختلفت فى الحياة أعمالهم ، وتشعبت مسالكهم ، وتفاوتت فيها مشاربهم . ولكنهم استقوا جميعا من مَعين واحد ، معين الأدب الصافى فى أزهى عصوره ، وأنضر أزمانه . نهلوا منه وعَلُّوا ، ثم نهلوا وعلوا ، حتى استقام لهم القول ، وَسلسَ منه القياد ، واستحكمت السليقة ، وتمهّدت الجادّة . هذا أحدهم حافظ إبراهيم ؛ أخبرنى مرة أنه يكاد يقرأ (كتاب الأغانى) من ظهر القلب ، لطول ما عكف عليه ومارسه .

وكان – رحمه الله – شديد الحافظة ، حادّ الذكاء . وكنت أختلف إلى بعض مجالسه التى يذكرها من أصفيائه مَن لا يزالون بيننا فى هذه الحياة

فكان يدهشنا حقا بواسع اطلاعه ، وفيض محفوظه ، وعجيب بديهته . وكان له فى تلاوته وقفات حلوة للتعليق والشرح ، والتعقيب والنقد . يتخلل أولئك نوادر من اللغة ، وشوارد من الأدب ، وفكاهات ومقابسات ، وموازنات ومناظرات .

سقى الله مجالسك الغُر يا حافظ ، فقد لا يجود بمثلها الزمان !

فأين هذا – وهو مثال وجيز من عبقرية شاعر – من مُتشاعرى هذا الزمان الذين كلّ بضاعتهم قشور من هنا ومن هناك ، وثقافة فجة ، وجهل مُطبق بالأدب العربى وتاريخه ، وألفاظ ذات بَريق يَلْوُون بها ألسنتهم ، لتحسبها من الشعر ، وما هى منه – لعمرك – فى شىء ؟

أعود إلى تلك الحقبة التى أبرزت شعراءنا الأربعة ، فأزعم أنها لا تعبر إلا عنهم وحدهم ، وإن نجم بينهم فيها من يُعترف لهم بالاقتدار وسمو الشاعرية .

وقد يكون هذا رأياً خاصاً بى ، لا يَشركنى فيه غيرى ؛ ولكنه رأى هكذا كونته . وقد أعْرِض له بشىء من التفصيل ، متى واتت الفرصة .

فلما خلا الميدان من هؤلاء الفرسان ، ودالت أيامهم ، سُدلت على (المسرح) الستارة . ثم عادت فارتفعت ، فإذا مشهد عَجَب ، وإذا الحال غير الحال ، وإذا نحن أمام فوضى النظم والنُّظّام ، تلك الفوضى التى يجب أن يتظاهر عليها فضلاء النقاد ، وذوو الرأى من الأدباء ، ليكبحوا من جماحها ، ويفُلُّوا من شِرّتها .

(الحديث بقية) (ع . ا)

« النفر » بمعنى المال

تناول الشيخ أحمد محمد شاكر كتاب الأستاذ العقاد « الصديقة بنت الصديق » بالنقد فى جريدة الوفد المصرى فأنكر

---

(١) تحلاه : وجد حلاوته

البيتين اللذين نسبهما العقاد إلى عروة بن الزبير وأجراهما على لسان عائشة

فلو سمعوا في مصر أوصاف خده لما بذلوا في سوم يوسف من نقد

ويقول الأستاذ شاكر : « ولكن العرب لا تعرف « النقد » بالمعنى المفهوم عند المتأخرين بمعنى المال كما يقول العامة « النقد » « النقود » ، وإنما النقد عندهم تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها . والنقد عندهم أيضاً خلاف النسيئة ، وله معان أخر ليس منها المال نفسه ، فإن شاء الكاتب الجرىء – يريد العقاد – أن يكابر في هذا فليذكر لنا نصاً صريحاً ثابتاً من كلام الفصحاء شعراً أو نثراً يذكر فيه « النقد » بمعنى المال نفسه » [1]

فنحن ندلي بالنصوص التي حضرتنا مؤيدة لهذا المعنى

يقول الزمخشري : « نقد جيد ونقود جياد » [2] ، وابن قتيبة الدينوري يحدثنا في أخباره العيون النثر فيقول : قال إعرابي :

وفي السوق حاجات وفي النقد قلة
وليس يُقضى الحاج غير الدراهم [3]

ويقول : قال دُلَيم :

لله لَقي من عرابة بيعة على حين كان النقد يسر عاجله [4]

ويقول الحريري في مقامته التاسعة والعشرين « الواسطية » : « فقد وُليت العقد ، وأُكفلتُ النقد » [5]. قال شارح المقامات أبو العباس أحمد القيسي الشريشي : « النقد هو المال الحاضر » [6]

وقد استعمل هذا المبنى لذلك المعنى المؤرخان الجليلان أبو الحسن المسعودي [7] وابن خلدون [8] .

هذا ما حضرني – والذهن كليل – من تراث العرب ، وهو صريح في جواز استعمال كلمة « النقد » بمعنى المال كما هو معروف اليوم

معدي محمد حسين

(١) الوفد المصري عدد ١٥ فبراير سنة ٤٤
(٢) أساس البلاغة ج ٢ ص ٤٦٩ طبع الدار
(٣) عيون الأخبار ج ١ ص ٢٥٢ طبع الدار
(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٤
(٥) مقامات الحريري ج ١ ص ٣٣٣ طبع بولاق
(٦) شرح المقامات ج ٢ ص ٩١ طبع بولاق
(٧) التنبيه والأشراف ص ٢٠ طبع الصاوي
(٨) المقدمة ص ١٨٣ وما بعدها طبع عبد الرحمن محمد

إلى الأستاذ الكبير أحمد حافظ عوض بك

سيدي الأستاذ

سلام عليك في عزلتك بعد ما ملأت الأسماع لطفاً وظرفاً ؛ وبعد : فقد حدثني الأستاذ الجليل إسعاف النشاشيبي عنك حديثاً بوزن وزناً . وقد جرَّ إلى الحديث عنك رأيك الذي أبديته في الشعر الحديث ، ونظمك لي مع أستاذنا الكبير خليل مطران في سلك واحد . ولقد شاء فضلك ومحلك في الأدب أن ترى في شعري رأياً أعده كثيراً على جهدي وإسرافاً في مثلي . ولكنك رضيت فارتأيت ! ولولا أن أستاذنا الجليل النشاشيبي عاد إلى فلسطين بعد أن كان تسليمه علينا وداعاً ، ومقامه بيننا غمضة عين ، وخفقة قلب ، وحسوة طير ؛ لولا ذلك لزرتك في صحبته ، وسعيت إليك في بطانته .

ولكنني ألقاك على صفحات « الرسالة » الغراء ؛ فرأيك فيها وفي صاحبها مما يسر أن نُذيع به . فأجعلها اليوم رسولي إليك ، لشكرك والتسليم عليك . والسلام

محمد عبد الغني حسن

في ديوان « حافظ بك إبراهيم »

كتب الأديب رضوان الموادلي بالبريد الأدبي من مجلة الرسالة الغراء العدد (٥٤٣) ما نصه :

« نسي الأستاذان أحمد أمين والزين أن يوردا هذه (القصيدة) في ديوان (حافظ إبراهيم) ؛ فآثرنا نشرها في الرسالة الغراء »

أنا في يأس وهم وأسى حاضر اللوعة موصول الأنين
ستهين بالذي (لاقيته) وهو لا يدري بماذا يستهين
سور عندي له مكتوبة ودَّ لو يسري بها الروح الأمين
إنني لا آمن الرسل ولا آمن الكتب على ما يحتوين

وكم أود أن أظفر بشعر لم يضم بعد إلى ديوان حضرة شاعرنا الكبير – فأشعاره – رحمه الله – هي ذخر فنيٌّ قيم – وثروة أدبية طائلة يعتز بها كل أبناء العربية – ولكن الأبيات هذه مثبتة بالديوان المذكور لم ينسها جامعوه ، وهي

بالصفحة (٢٤٩) من الجزء الأول فى باب الغزل تحت عنوان :

« رسائل الشوق »

إلا أن ثَم اختلافا فى ترتيبها — فيه — والأحجى أن يكون الترتيب كما ذكره الأديب ، وكما جاء أيضاً فى مجموعة (مختارات الزهور) الصادرة لسنة ١٩١٦ بعنوان (لوعة وأنين)

وبعد ، فلحضرة الباحث الكريم جزيل احترامى .

(مكة المكرمة) حسين عبد الله القرشى

« أبو شوشة والموكب » لمحمود تيمور بك

للأستاذ محمود تيمور بك اختيار لطيف لأبطال مسرحياته وقصصه ، فهو يوائم دائماً بين الاسم وصاحبه حتى لتجد المطابقة بينهما تامة غير منقوصة . ففى مسرحيته الفاتنة (سهاد) ترى (أم سرعرع) علماً على العرّافة ؛ وترى (أقيش وقرطيش) علمين على القزمين اللذين يثيران الضحك فى كل حركة أو كلمة . وفى مسرحيته (المنقذة) ترى (شلبية) قارئة البخت . وفى مسرحيته (قنابل) ترى القزم (كتكوت) وناظر الزراعة (حواش افندى) . وفى مسرحية (أبو شوشة) ترى شخصية (الشيخ غندور) وهو شيخ أخفق فى دراسته فاتخذ من (عطوة باشا) سبيلاً إلى التندُّر والمضاحكة فى مجلسه

ومحمود تيمور يختار لمسرحياته الأزمان التى توافق فنّه الرفيع ؛ كما يختار لهـا الأمكنة الملائمة . فمسرحية (سهاد) مثلاً زمانها عصر الخلافة الإسلامية ، ومكانها الصحراء العربية بوديانها وكثبانها ومضارب الخيام فيها . ومسرحية (المنقذة) مكانها مصر وزمانها عصر المماليك . ومسرحية أبو شوشة مكانها مصر وزمانها عصرنا هذا وأشخاصها مصريون أصلاً . وكذلك مسرحية (الموكب) التى طبعها محمود تيمور مع (أبو شوشة) فى كتاب واحد

وفى أغلب مسرحيات تيمور طابع من (الفكاهة) المتمثلة فى شخصيات مضحكة ؛ وهذه الشخصيات يعرضها المؤلف دائماً فى معرض التهريج والعبث . (فالشيخ كروان) مهرِّج من المرتزقة الطاعمين من فتات موائد الأغنياء . وهو أضحوكة مسرحية (الموكب) . والشيخ (غندور) مهرج آخر فى مسرحية (أبو شوشة) ؛ فهو أزهرى متحذلق . وقد اتخذه عطوة باشا سميراً ونديماً ... لا بل اتخذه مضحكاً ومهرجاً ... ! فهو حين يقدَّم إلى مؤنس بك ينحنى ويقول Enchanté . فيضحك الجمع منه ، والمؤلف هنا بارع ، فهو لا يُنطق الشيخ (غندوراً) إلا بهذه اللفظة الفرنسية ، ويترك القارئَ وحده يضحك لهذا الشيخ المتفرنس !

أما الشيخ (كروان) مهرج مسرحية (الموكب) فهو شيخ متحذلق أيضاً ؛ إلا أنه يزيد على صاحبه « غندور » بالثرثرة والسجع المتكاف والتملق المرذول . اسمعه مثلاً وهو يخاطب (فضل الله باشا) [أقسم برب الكعبة المشرفة ، غير حانث ولا كاذب ، أنك رجل هذا العصر ، ومنارة مصر ، وأوحد الدهر — ص ٨٣] . ولا يكتفى الشيخ بهذا بل ينشد أبياتاً فى مدح الباشا يصفق لها السامعون ويشتركون فى الضجيج حتى المتوقرون منهم أمثال بديع بك وزهرية هانم

والمؤلف ليس عنيفاً فى إدارة الحوار وتجلية الطبائع ، ولكنه يسوقها فى هدوء بالغ . ولست تحس وأنت تقرأ « تيمور » عنفاً أو صخباً أو جلبة . ولكنك ترى الهدوء الذى ينطوى فى الإلغاز والرمز . وهـذا سر أن مسرحيات تيمور لا تختم بما تختم به مسرحيات غيره من المؤلفين . ولعل هذا سبب فى أن المسرح المصرى لم يحظ من مسرحيات تيمور بتمثيل العدد الكثير . فإن إخراج مثل النوازع النفسية الباطنة فى مسرحياته يحتاج إلى مخرج بصير مـدرك ، وجمهور أعمق مرامى من جماهير المسرح اليوم .

الحق أن محمود تيمور فنان مخلص لفنه ، فلا تنقطع بينهما صلة على الرغم من أثقال الزمان . وقد أخرج من عهد قريب مسرحيتى (المنقذة وحفلة شاى) ومسرحية (قنابل) وهاهو ذا اليوم يخرج (أبو شوشه والموكب) فى اللغة الفصحى التى كان المغفور له والده علماً من أعلامها . ولا شك فى أن نشر « مجلة الصباح الدمشقية » لهاتين المسرحيتين بعد مشاركة طيبة من سورية الناهضة فى إعلاء شأن المسرح العربي الحديث . وهى مشاركة سبقها فيها (لبنان) الأشمُّ بنشر (نداء المجهول) للمؤلف نفسه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)